



yehiatrakhawy@hotmail.com

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر



في هذه الخبرة اتضحت لى ضرورة التمييز بين برنامج "الدخول والخروج in-and-out" "program وبرنامج الكر والفر "الكرفر Fight-Flight"، علما بأن هذه الحالة لم تكن تمارس أيًا منهما، وإن كانت أقرب إلى موقف الدخول والخروج على مستوى تحسس الطريق "تحو الموضوع" (الأخر)

في الكر والفر دفع حتى الطرد، أو انسحاب حتى الهرب، وهما يتبادلان، وفي الدخول والخروج، إقدام إلى الآخر والشوط على أرض الواقع، كما هو مؤقتا عادة، ثم انسحاب إلى الرحم الحانى للكمون والإعداد، وهكذا بالتبادل.

الحالة هنا تعلق شيئا آخر، هي تظنهر أن الخوف من الاقتراب لا تشكيلات وتجليات متنوعة من أرقها: هذا النوع من الإقدام الحذر المتوجس، يتبادل مع الإحجام الناقص، على خلفية من الشعور بذنب ما، وفي نفس الوقت الرغبة فى أخذ "الحق فى القرب"، فى الحب، فى الاعتراف، التى تترجح مظاهرها فى تجليات خاطفة ما بين السرقة والاستجداء والخوف والتردد:

(1)

والعين المهزوزة الخائفة الحرامية،

زى الكلب السارق عظمة:

بتبص لتحت، وساعات للجنب.

وساعات بتبرق وتحقق حبة نونو،

ترجع تانى، تهرب منى،

وتبص لفوق.

أجرى وراها قبل ما توصل شرعة الباب،

أو تنزل تتسحب منى: كده تحت دولاب.

فى هذه الخبرة اتضحت لى ضرورة التمييز بين برنامج "الدخول والخروج in-and-out program" وبرنامج الكر والفر "الكرفر" Fight-Flight.

هذه الحالة لم تكن تمارس أيًا منهما، وإن كانت أقرب إلى موقف الدخول والخروج على مستوى تحسس الطريق "تحو الموضوع" (الأخر)

فى الكر والفر دفع حتى الطرد، أو انسحاب حتى الهرب، وهما يتبادلان، وفى الدخول والخروج، إقدام إلى الآخر والشوط على أرض الواقع، كما هو مؤقتا عادة، ثم انسحاب إلى الرحم الحانى للكمون والإعداد، وهكذا بالتبادل

حين تُحرم من حقله فى القرب، سواء كان ذلك نتيجة لهذا الموقف المترقب المتعدد، أو لأنهم نسوك أو تجاوزوك أو

وساعاتٍ تترقّصُ وبياضها يغطي سوادها،
وكأنه بيخبي بريئةً وأثمها:
قرت بالذنب،
من غير ولا ذنب

حين تُحرم من حقه في القرب، سواء كان ذلك نتيجة لهذا الموقف المترقب المتكرر، أو لأنهم نسوك أو تجاوزوك أو أهملوك، أو في الواقع: نتيجة لكل ذلك معا، قد تضطر إلى أن تحصل عليا بما يبدو أنك خطف أو سرقة، هذا الموقف الذي بدأت بـ [] واصفا هذه الحالة يشير إلى أن الإقدام على عمل علاقة بأخر، حتى ولو بخطفها سرقة، لا يكشف تحايلا للحصول على غير حقه، بل هو يعلن جوعا لا يعرف طريقا للإرواء غير ذلك، جوعا للحصول على حق لم يصل صاحبا.

الواضح من هذا المقطع هو أنك بالرغم من الجوع الشديد إلى الآخر، فإن ثم شعورا حقيقيا بأن المسئول عن ذلك ليس بالضرورة هو الآخر وحده. هذا الشعور، في هذه الحالة، كنموذج، ينبع أساسا من صعوبات صاحب هذا الموقف أكثر مما أنك نتيجة لرفض يأتيا من خارجا.

الشعور بالذنب لدرجة الاعتراف بإثم لم يرتكبه الشخص أصلا، قد يكون هو العائق الدفاعي لاستقبال رسائل إيجابية من الآخر تعفيا من الاضطرار لسرقة العواطف أو خطفها هكذا، كما تعفيا من الاستجداء ومن غير ذلك مما سيأتي ذكره، هنا لا يوجد إثم أصلا يحتاج أن نشعر إزاءه بذنب ما، هذا هو الغالب عند معظم البشر كمرحلة من التطور إلى البشرية الأكثر حرية ووعيا ومعية، إذن نحن لا نحتاج لاختلاق قصص أو الاستشهاد بأساطير لتفسير هذا الشعور الأساسي بالذنب في التكوين البشري المعاصر، إلا إسقاطا لتفسير تكوين أساسي.

في أطروحتي عن الشعور بالذنب، ربطت بين الوعي بالوعي، وبين الوعي بانفصال الإنسان كائنا واعيا مستقلا نسبيا عن الوعي الكلي، عن الوعي الهولي الهلامي الأصلي، قدمت تفسيرا لهذا الشعور الأساسي أنك: إعلان لورطة اختيار الإنسان أن يكون كائنا منفردا له وعي مستقل، لا يحتاج الأمر - إذن، كما ذكرنا حالا ونكرر - لتبريرات لاحقة، جنسية أو أويبية أو محارمية، اللهم إلا كنوع من التفسير اللاحق لإسقاط هذا الشعور الأساسي على منظومات التحريم والتنظيم، الفرض الذي طرحنا سابقا يوجز هذه القضية في هذه الجملة:

“أنا موجود، أنا لى كيان مستقل،

أنا واع بذاتي منفصلا عنهم وعننا،

إذن أنا مذنب، (دون أن اذنب)^[21]”

هذا الشعور بالانفصال عن الأصل الكلي الهلامي، هو نفسا الدافع لمحاولة الوصل طول الوقت “كل من انفصل عن أصله، يطلب أيام وصله^[31]”، وهو الشعور الذى يكمن أيضا وراء مازق السعى إلى المعرفة، المعرفة هي فى ذاتها ذنب من هذا المنطق الأساسي، ذنب رائع أيضا، وهذا هو ما يغلب على كثير من تفسير حكاية (أسطورة فكرة/حقيقة) الأكل من الشجرة المحرمة فى الجنة (بالإضافة إلى ما يقابل ذلك من جنان الأساطير والإبداع الأدبي)، إن ما ترتب على الأكل من الشجرة المحرمة هو العقاب بإنزال الإنسان إلى أرض الواقع المسئولية، مع منحا حرية الاختيار وأدوات التواصل الأساسية (الأسماء كلها/الأمانة)، وهى حرية شائكة، وأدوات ملتبسة، فهو قادر على الاختيار والكشف، وفى نفس الوقت خائف من المجهول والعجز.

لا يحل هذا الموقف، أو حتى يخفف منّا مجرد اقتراب صادق من آخر، فالمسألة تحتاج تجربة ومثابرة لعل رسالة مطمئنة تصل بدرجة تسمح بعلاقة ما.

التشكيل هنا يكشف من جوانب متعددة عن حركية الاقتراب المغامر إلا قليلا، يقابله الانسحاب

أهملوك، أو فى الواقع: نتيجة لكل ذلك معا، قد تضطر إلى أن تحصل عليه بما يبدو أنه خطف أو سرقة

أنه بالرغم من الجوع الشديد إلى الآخر، فإن ثم شعورا حقيقيا بأن المسئول عن ذلك ليس بالضرورة هو الآخر وحده

هذا الشعور، فى هذه الحالة، كنموذج، ينبع أساسا من صعوبات صاحب هذا الموقف أكثر مما أنه نتيجة لرفض يأتية من خارجا

الشعور بالذنب لدرجة الاعتراف بإثم لم يرتكبه الشخص أصلا، قد يكون هو العائق الدفاعي لاستقبال رسائل إيجابية من الآخر تعفيا من الاضطرار لسرقة العواطف أو خطفها هكذا

فى أطروحتي عن الشعور بالذنب، ربطت بين الوعي بالوعي، وبين الوعي بانفصال الإنسان كائنا واعيا مستقلا نسبيا عن الوعي الكلي، عن الوعي الهولي الهلامي الأصلي، قدمت تفسيرا لهذا الشعور الأساسي أنك: إعلان لورطة اختيار الإنسان أن يكون كائنا منفردا له وعي مستقل

“أنا موجود، أنا لى كيان مستقل،

أنا واع بذاتي منفصلا عنهم

وعننا،

إذن أنا مذنب، (دون أن

الجوع إلى العلاقة ليس دافعا تلقائيا للتقدم نحوها، بل كثيرا ما نجد أن العكس هو الذي يحدث، فصاحبة هذا الموقف هنا ترفض الاقتراب حتى لو جاءت المبادأة من الآخر: وأنت كلما حاولت الاقتراب منها حاولت هي الابتعاد، ربما لتحافظ على مسافة، تعد ولا تفي، لكنها المسافة (لا تكف عن الوعد مجددا).

الحاجة إلى الاقتراب أو الحب قد تحدث حتى تبدو تسولا من بعد معين، وهذا من أصعب ما يضطر إليه بشر لا يجد فرصة حقيقية للأمان والاعتراف، قد يظهر ذلك التسول في شكل تنازل عن كرامة، أو قد يتم بصفة سرية بها ظلم شديد عليه، أو قد يتجلى في تنقل سريع بين مصادر الحب المحتمل، دون ارتواء حقيقي.

هذا الموقف يقدم المتن بقسوة عارية حين يصف هذا التنازل بأنه تسول، مع إلحاق أن هذا التسول لا يحقق لصاحب إلا فتاتا من فضلات لا تغني، بل إنها قد تزيد الجوع حدة وسعارا. هذا الموقف يبين كيف يمكن أن يترجح صاحب بين خطف ما تيسر من عواطف، أو راحة علاقة، أو إشارة اعتراف، وبين نوع من التسول الذي يصاحب اعتذار أو استغفار عن الذنب الأساسي، ذنب الانفصال عن الوعي الكلي سعيا إلى وعي ذاتي متفرد، وهو موقف لا يحل الإشكال من جذوره بقدر ما يعلن طبيعة هذه الوقفة في هذه المرحلة، وصعوبة المحاولة، وللأسف، فإن موقف إذا طال وتكرر بلا عائد، فهو ينتهي إلى نتيجة سلبية كما انتهت الحالة في هذا المتن، ذلك لأن الذي تظهره الحالة هو أنه: إذا تذبذبت المحاولات إلى هذه الدرجة وطالت المدّة، فإنها تُجهّض جميعها في النهاية مهما استمرت وتكررت، ومهما قفزت من موقف إلى موقف فهي ليست في النهاية إلا نوع من الخطف أو السرقة، ثم استجداء وتردد، في مقابل الوعد بما لا يكون.

يقولوا ظبطوها بتسول: فضلات الخب.

وارجع ابصلها تنط،

وثقط.

كما طفل على سلم ترمائ،

بيبيع كبريت أو باعة،

أو ييده خفيفة، عالساعة والولاعة.

يخطف وينط.

هكذا يعرى المتن عمق هذا الموقف الذي لا يحل مجرد إعلان الإقرار بالوجود، أو التلويح بالإعفاء من مسئولية "سرقة الرؤية" و"تسول القبول"، هذه الحالة تكشف استمرار إصرار صاحبة الصورة على الحفاظ على نفس الموقف الحذر المتوسط المترجح بلا نهاية، ها هو المتن يعلن بشكل مباشر أن هذا التردد المُمثل لا يوصل إلى شيء:

(2)

عايزاكم.. مش عايزاكم.

باستخونكم، وباجيكم.

وباخاف ماأقرب.

وما طيفشي البعد.

وباخاف لو عيني جت في غنين مش "هيّة"،

وباخاف أكثر لو طلعت "هيّة".

هذه الحالة تصف مرحلة انتقال حذرة، وليس "تناقض الوجدان" كعرض، فهي تبدو نقلة حساسة من

هذا الشعور بالانفصال عن الأصل الكلي الملامى، هو نفسه الدافع لمحاولة الوصل طول الوقت "كل من انفصل عن أصله، يطلب أيام وصله" [3]. وهو الشعور الذي يكمن أيضا وراء مأزق السعي إلى المعرفة، المعرفة هي في ذاتها ذنب من هذا المنطلق الأساسي، ذنب رائج أيضا

إن ما تدرج على الأكل من الشجرة المبرمة هو العقاب بإنزال الإنسان إلى أرض الواقع المسئولية، مع منحه حرية الاختيار وأدوات التواصل الأساسية (الأسماء كلها/الأمانة)

هي حرية شائكة، وأدوات ملتبسة، فهو قادر على الاختيار والكشف، وفي نفس الوقت خائف من المجهول والعجز

التشكيل هنا يكشف عن جوانب متعددة من حركة الاقتراب المغامر إلا قليلا، يقابله الانسحاب الحذر إلا قليلا

الجوع إلى العلاقة ليس دافعا تلقائيا للتقدم نحوها، بل كثيرا ما نجد أن العكس هو الذي يحدث، فصاحبة هذا الموقف هنا ترفض الاقتراب حتى لو جاءت المبادأة من الآخر

أنه كلما حاولت الاقتراب منها حاولت هي الابتعاد، ربما لتحافظ على مسافة، تعدد ولا تفنى، لكنهما (المسافة) لا تكف عن الوجود مجدداً.

الحاجة إلى الاقتراب أو الحب قد تحدث حتى تبدو تسوفاً من بعد معين، وهذا من أصعب ما يضطر إليه بشر لا يجد فرصة حقيقية للأمان والاعتراف

قد يظهر ذلك التسول في شكل تذازل عن كرامة، أو قد يتم بصفحة سرية بها ظلم شديد عليه، أو قد يتجلى في تنقل سريع بين مصادر الحب المحتمل، دون ارتواء حقيقي.

هذا الموقف بيبين كيف يمكن أن يترجع صاحبه بين خطفه ما تيسر من مواطنه، أو رائحة علاقة، أو إشارة اعترافه، وبيّن نوع من التسول الذي يصاحبه الختار أو استغفار عن الذنب الأساسي، ذنب الانفصال عن الوعي الكلي سعياً إلى وعي ذاتي منفرد

إذا تذبذبت المحاولات إلى هذه الدرجة وطالبت المدة، فإنها تجف جميعها في النهاية مهما استمرت وتكررت، ومهما تفرقت من موقفه إلى موقفه فهي ليست في النهاية إلا نوع من الخطف أو السرقة، ثم استجداء وتردد، في مقابل الوجود بما لا يكون

أن ما يسمى الطور الاكتئابى

الطور البارنوى إلى الطور الاكتئابى، بالمعنى الذى أشرنا إليه سابقاً موضحين أن ما يسمى الطور الاكتئابى (وليس الاكتئاب) هو طور محاولة اختبار، وتقبل صعوباً العلاقة بالآخر بوعى متبادل مسئول، (لهذا اقترحنا تسميناً الطور العلاقاتى الإنسانى).

الموضوع (الآخر)، فى هذه النقطة هنا، لا يمثل خطراً يهدد وجودى، أو يقتحم هويتى، بل هو (الموضوع - الآخر) يحضر بداية بإقرار الاعتراف الحذر باكتشاف أن ما هو "آخر" هو مصدر حب ووعد بالتكافل معاً للاستمرار دون أن يمحوا أحدنا الآخر، وفى نفس الوقت هو يحمل - بطبيعته - تهديداً بخاطر الترك أو الهجر، ووجود هذين الشعورين معاً معظم الوقت يترتب عليه ما يسمى "بتناقض الوجدان"

نكرر: التناقض هنا غير تناقض الوجدان المتصادم المُشَلِّ فى الأحوال المرضية، حيث التضاد فى المرض لا ينتهى إلا بنتيجة صفرية فارغة، هذا بعكس التناقض النمائى هنا الذى إنما يعلن طبيعية جدل العواطف التى نخترلها عادة بالاستقطاب باستمرار.

هذا الجدل النابع من حيوية التناقض الإيجابى هو الذى يفرز طاقة الدفع إلى استمرار نبض الحركية نحو الآخر، محصلة ذلك إن استمرت هذه الإيجابية هى ظهور الألم البشرى الأرقى، الذى ظهرت إحدى تجلياته فى هذا المتن فى نص عبارة:

“والذمعة يا دوب حاتبان.”

لاحظتُ فى خبرة العلاج الجماعى خاصة، وأيضاً فى لقاءات الفحص الصامت لإطلاق التعبير عن “الحق فى الألم” (أو الحزن) لاحظت أن هذا الموقف الذى تترقق فيه العين باقتراب دمعة تلمع ولا تهطل، هو الموقف الذى تمثل هذه العبارة تحديداً، وقد ثبت أن - فى تقديري بعد عشرات بل مئات الحالات - موقف يعبر عن الألم الإنسانى الناتج عن الإصرار على مواصلة التواصل مع آخر مختلف، وفى نفس الوقت وعى بأن هذا الآخر هو كيان مستقل منفصل يحاول نفس المحاولة، مع إدراك الصعوبة والتهديد فى آن، وكل هذا هو من علامات ما أشرت إليه باعتباره الحزن النمائى الجدلى المسئول.

فى خبرة العلاج الجمعى (وأيضاً فى اللقاء الإكلينيكى الصامت من حيث تجنب استعمال الكلمات المنطوقة) حين نصل (المريض وأنا) إلى مرحلة تعلن مثل هذا التواصل المؤلم، يتجلى هذا “الألم الحى” بعذوبته وصدقاً فيما يعبر عنه عادة بتعبير هو ما يسمى: “اغرورقت عيناه بالدموع”، هنا نلفت النظر إلى أننا لاحظنا مكرراً أن إذا امتدت هذه الخبرة حتى إدرار الدموع، فإن هذا البكاء يجهض المحاولة، وتقلب العلاقة إلى مستوى آخر أقل فاعلية، بل ربما يكون سلبياً دفاعياً، الأمر الذى دعانى - غالباً - إلى اتخاذ موقف علاجى يحول دون أن ينقلب اغروراق العيون، إلى دموع منسكبة.

هذا الموقف - حين أساعد أحد المرضى أن يسمح للألم بالظهور دون الإسراع بلمصقٍ بسبب جاهز، أو قديم، وفى نفس الوقت ألا يسمح لنفسه بالتعبير عنه بالألفاظ حتى لا يجهض الخبرة - يبدو موقفاً غير مألوف إذا قيس بتعبيرات علاجية سهلة مثل الفضفضة أو التنفيث، وكان بعض المرضى الآخرين، وبعض الزملاء والمشاهدين يستقبلون محاولتى هذه باعتبارها قسوة مؤلمة، ولم يكن الحال كذلك عند أغلب المرضى فى داخل التجربة، بل إن الناتج فى النهاية كان، ويكون، نوعاً من الطمأنينة الواعية بحقيقة صعوبات وأبعاد العلاقة بالواقع، وبالأحرى، بل ويكون هو هو الدافع إلى استمرار العلاقة العلاجية إلى المرحلة التالية من محاولات تنشيط مسيرة النمو التى هى غاية هذا النوع من العلاج.

إذن ما تحفل به هذه النقطة من تناقض الوجدان الإيجابى، بمعنى حضور أكثر من عاطفة فى نفس مستوى الوعي، بعضها يبدو عكس الآخر، إنما هو إعلان لحركية التعاطف المتبادل اختباراً، وتراجعاً، وتقدماً، وحذراً، (ومن ثم: جدلاً)، نقرأ مرة أخرى:

وبأخاف مألُقرُب،

وما طيَّقشِي البُعد.

وبأخاف لو عيني جت في غنينِ مِش “هيّة”،

وبأخاف أكرز لو طلعتُ “هيّة”،

في خبرتي أيضا لاحظت أن إطالة هذا الموقف هو مرهق لدرجة الخطر، لا أحد يستطيع أن يواصل كل هذا الألم الناشئ عن وعد لا يتحقق، وفي نفس الوقت لا يتراجع، وعد بعلاقة حقيقية، برؤية ما، باعتراف ما، بتواصل ما، أقول إن إطالة هذا الموقف دون أن يحقق أية درجة من الاقتراب الموضوعي الداعم الدافئ، إنما يؤدي في كثير من الأحيان إلى الإنهاك فالترجع عن محاولة الاستمرار في هذا الجدل الضروري لتنشيط دائم لعلاقة بشرية حقيقية.

العلاقة الحقيقية بين البشر هي حركة دائبة، فالحذر هنا يصحب احتمال الأمان، والإحجام يسير جنبا إلى جنب مع محاولة الاقتراب، والأمل في وجود آخر رغم التهديد المصاحب لذلك هو أمل متجدد حقيقي وفعال.

وفي خبرتي - مصداقا لهذا التنظير - وجدت أن ظهور علامات هذه المشاعر المشتملة للألم والحزن والدهشة وقدر من الطمأنينة لجدية المشاركة، هو من أهم ما يدل على نجاح العلاج والتقدم على طريق النمو، وهذا يختلف تماما عن السائد من أن هدف العلاج هو “إراحة المريض”، أو حتى هو السماح للـ “بالترغيع” أو “التنفيث”.

لا بد من التنويع هنا إلى أن الحر [] على “بسط Unfolding” هذه المشاعر المؤلمة لا ينبغي أن يكون هدفا علاجيا في ذاتها، وإنما يلتزم المعالج بأن يضبط الجرعة والمدة المناسبة لمعايشة هذه الخبرة بما يحقق دفع عجلة النمو بالقدر البناء، ولا مانع من العودة إلى نفس الخبرة مع كل نقلة نمو لاحقة.

إذا أساء المعالج (أو أي آخر) حسبة الجرعة وطالت خبرة الألم بلا ناتج حالي أو واعد، تهدد الكيان النامي بالتفسخ من فرط الألم، هنا - مع التهديد بالتفسخ - تقفز الحاجة إلى التغطية بأية آلية (ميكانزم) قديمة أو جديدة، بالكبت مثلا) غطوني كويس (أو بالانسحاب) خلوني بعيد (تجنبنا لهذا التفسخ المهده نتيجة لفرط الألم بلا عائد، هكذا يعلنها النص قرب النهاية:

(3)

غطوني كويس،

خلوني بعيد،

لا تبقرق.

نهاية هذه القصيدة (الحالة اللوحة) تبدو سلبية لكنها واقعية بشكل منبج ومؤلم، ذلك أنها أقرب إلى الحل الياثس الذي يعلن صعوبة الاستمرار في معاناة هذه المشاعر بلا تقدم كاف نحو غاية العلاج (أو العلاقة).

في العلاج الجمعي خاصة، وفي العلاج عامة، يمكن أن نقابل هذا الميكانزم الذي لا يكتشف إلا خبير، أو ربما يتكشف نفس الميكانزم بعد بداية العلاج بفترة ليست قصيرة، وأحيانا يظهر بعد تحسن مؤقت، فترجع منظم أو غير منظم، هذا الميكانزم، ميكانزم “الفرجة”، ونعني بـ “الفرجة” هنا: المشاركة بالمشاهدة، والفهم بالعقل، وأحيانا الحكم على الجارى، بالتفكير بل وبالرأى، يقترح مثل هذا المريض على زملائه، وأيضا على الأطباء، من مسافة آمنة، كما أن ثم احتمال أن بعض المعالجين (خاصة في موقف ما يسمى البحث العلمي) يقترحون على المرضى، وهم يتعلمون منهم نظريا، إذ يرصدون أحوالهم وتركيبهم، لينشروه بحثاً أو يشرحوه لدارسين: (وقد سبق أن أشرنا لمثل ذلك في لوحة سابقة “الحالة دي صعبة ومهمة تنفع للدرس”^[4])، يفعل الواحد منا هذا دون أن ينتبج إلى أن كل ذلك يجرى على حساب

(وليس الاختناج) هو طور محاولة اختبار، وتقبل صعوبة العلاقة بالآخر بمعنى متبادل مسنول، (لهذا افترحنا تسميته الطور العلاقتي الإنساني).

في خبرة العلاج الجمعي (وأبجاء في اللقاء الإكلينيكي الصامد من حيث تجنب استعمال الكلمات المنطوقة) حين نصل (المريض وأنا) إلى مرحلة تعلم مثل هذا التواصل المؤلم، يتجلى هذا “الألم الحي” بعدوئته وصدقه فيما يعبر عنه عادة بتعبير هو ما يسمى: “الخروجت عيناه بالدموع

لاحظنا مكررا أنه إذا امتدح هذه الخبرة حتى إدوار الدموع، فإن هذا البكاء يجسز المحاولة، وتنتقلب العلاقة إلى مستوى آخر أقل فاعلية، بل ربما يكون سلبيا دفاحيا

حين أساعد أحد المرضى أن يسمع للألم بالظهور دون الإسراع بلطفه بسبب جاهز، أو قديم، وفي نفس الوقت ألا يسمع لنفسه بالتعبير عنه بالألفاظ حتى لا يجسز الخبرة - يبدو موقفا غير مألوف إذا قيس بتعبيرات علاجية سهلة مثل الفضضة أو التنفيث

أن إطالة هذا الموقف هو مرهق لدرجة الخطر، لا أحد يستطيع أن يواصل كل هذا الألم الناشئ عن وعد لا يتحقق، وفي نفس الوقت لا يتراجع، وعد بعلاقة حقيقية، برؤية ما، باعتراف ما، بتواصل ما إن إطالة هذا الموقف دون

المشاركة الحقيقية، أى مواكبة المعالج للمريض أثناء مسيرة نموه، هذا نوع من الفرجة مهما كانت أغراضه نبيلة لتحقيق غرض آخر.

فى العلاج الخا □، يمكن أن تتم "الفرجة" المتبادلة بعيدا عن الوعى الظاهر لكل من المريض والطبيب، طالما أن التعاقد مستمر على مستوى أن وقت الطبيب هو بضاعة قابلة للشراء، وأن حضور المريض ليشغل هذا الوقت، وهو يعرض نفسه أيضا لفرجة ما، هو أيضا ضمن الاتفاق التحتى الذى يتم بينهما، وهكذا قد تستمر العلاقة بينهم على مسافة) أنا تذكرتى بلكون (ما دامت شروط العقد التحتى سارية) بفلوسى (كما تقول النهاية نصاً:

(4)

أنا تذكرتى بلكون،

ورا □ اتفرج للصبح.

.....بفلوسى

إن اتخاذ موقف المتفرج، حتى على مسافة، قد يكون هو الحماية المناسبة ضد فرط جرعة التلويح بأمل لا يتحقق، أو التهديد بتفاعل إنسانى غامض المعالم وذلك أثناء العلاج، خاصة العلاج الجمعى. من هنا نرى أن ميكائزم "الفرجة" الذى قد يخفف من خبرة التعرض للألم الرائع السالف الذكر، هو أقرب إلى ما أسميناه سابقاً "الهرب إلى الصحة، أو ما يشبه الصحة"، من حيث إن□ مع اختفاء هذا المأزق المؤلم بالتراجع، واتساع المسافة والفرجة: يعتبر المريض نفسه، والطبيب أحياناً، أن العلاج قد حقق أغراض□، وهذا احتمال يمكن قبول□ على مستوى معين من تعريفات "الصحة"، و"العادية". هنا يحضرنا سؤال يقول:

ألا يكفى اختفاء الأعراض سبباً وجيهاً يقرر أن يتوقف العلاج ما دام قد حقق هذه الأغراض مهما كانت متواضعة أو متوسطة؟

الإجابة الجاهزة المنطقية هى: نعم، هذا أوان مناسب لوقف العلاج^[5]

بحسابات الواقع، وقرار المريض، وقدرة المعالج معاً.

ثم هاكم المتن مكتملاً (كما تعودنا مؤخراً)

(1)

والعين المهزوزة الخائفة الحرامية،

زى الكلب السارق عضمة:

بتبص لتحت، وساعات للجنب.

وساعات بتبرق وتحقق حبة نونو،

ترجع تانى، تهرب منى،

وتبص لفق.

أجرى وراها قبل ما توصل شراعة الباب،

أو تنزل تتسحب منى: كده تحت دولاب.

وساعات تترقص وبياضها يغطى سواذها،

وكأنه بيخبي بريئة وأتهموها:

قرت بالذنب،

من غير ولا ذنب

بيقولوا ظبطوها بتتسول: فضلات الحُب.

وارجع ابصلها تنط،

أن يحقق أية درجة من الاقتراح الموضوعى الدائم الدافئ، إنما يؤدي فى كثير من الأحيان إلى الإبهام والتراجع عن محاولة الاستمرار فى هذا الجدل الضرورى لتنشيط دائم لعلاقة بشرية حقيقية

العلاقة الحقيقية بين البشر هى حركة دائبة، فالخطر هنا يصعب احتمال الأمان، والإبهام يسير جنباً إلى جنب مع محاولة الاقتراح، والأمل فى وجود آخر رغم التهديد المصاحب لذلك هو أمل متجدد حقيقى وفعال

ووجدت أن ظهور علامات هذه المشاعر المشتملة للألم والحرز والدعشة وقدر من الطمانينة لجدية المشاركة، هو من أهم ما يدل على نجاح العلاج والتقدم على طريق النمو

هذا يختلف تماماً عن الساند من أن هدفه العلاج هو "إراحة المريض"، أو حتى هو السماع له "التفريغ" أو "التنفيخ"

أن العرص على "بسط" Unfolding هذه المشاعر المؤلمة لا ينبغى أن يكون هدفاً علاجياً فى ذاته، وإنما يلتزم المعالج بأن يضبط الجرعة والمدة المناسبة لمعايشة هذه الخبرة بما يحقق دفع لحظة النمو بالقدر البناء

إذا أساء المعالج (أو أى آخر) حسبة الجرعة وطالبت خبرة الألم بلا ناتج حالى أو واحد، تمكّد

الضيان الناهي بالتفسخ من
فرط الألم

مواجهة المعالج للمريض أثناء
مسيرة نموه، هذا نوع من
الفرجة مصمما كإنه أنماضه
نبيلة لتحقيق تعرض آخر

في العلاج الخاص، يمكن أن
تتم "الفرجة" المتبادلة بعيدا
عن الوعي الظاهر لكل من
المريض والطبيب، طالما أن
التعاقد مستمر على مستوى أن
وقت الطبيب هو بضاعة قابلة
للشراء، وأن حضور المريض
ليشغل هذا الوقت، وهو يعرض
نفسه أيضا لفرجة ما

إن اتخاذ موقفه المتفرد،
حتى على مسافة، قد يكون
هو الحماية المناسبة ضد فرط
جرعة التلويح بأهل لا يتحقق، أو
التهديد وتفاؤل إنساني
غامض المعالم وذلك أثناء
العلاج، خاصة العلاج الجمعي

أن ميكانزم "الفرجة" الذي
قد يخفف من خبرة التعرض
للألم الراجع السالفة الذكر، هو
أقرب إلى ما أسميناه سابقا
"الصرب إلى الصحة، أو ما يشبه
"الصحة"

إنه مع اختفاء هذا المأزق
المؤهل بالتراجع، واتساع
المسافة والفرجة: يعتبر
المريض نفسه، والطبيب أحيانا،
أن العلاج قد حقق أنماضه،
وهذا احتمال يمكن قبوله على
مستوى معين من تعريفات
"الصحة"، و"العادية"

وتفط.

كما طفل على سلم ثرمانى،

ببيع كبريت أو باعة،

أو إيد خفيفة، عالساعة والولاعة.

يخطف وينط.

(2)

عايزاكم.. مش عايزاكم.

باشخونكم، وباجيكم.

وباخاف ماأقرب.

وما طيفشي البعد.

وباخاف لو عيني جت في غنين مش "هية"،

وباخاف أكثر لو طلعت "هية".

"والدمعة يا دوب حاتبان."

وباخاف ماأقرب،

وما طيفشي البعد.

وباخاف لو عيني جت في غنين مش "هية"،

وباخاف أكثر لو طلعت "هية"،

(3)

غطوني كويس،

خلوني بعيد،

لا تبتفرق.

(4)

أنا تذكرتي بلكون،

ورا انتفرج للصبح.

.....بفلوسى

.....

.....

ونواصل السبت القادم لقراءة اللوحة السابعة: "الدمعة الحيرانية"

- [1] يحيى الرخاوى: (2018) كتاب "فقه العلاقات البشرية"

(3) (عبر ديوان: "أغوار النفس" ("قراءة في عيون الناس"
(خمس عشرة لوحة)، الناشر: جمعية الطب النفسى التطورى -
القاهرة.

- [2] نشرة الإنسان والتطور "الشعور بالذنب" 2008-1-21
www.rakhawy.net

- [3] قول صوفى ربما لجلال الدين الرومى

- [4] أنظر الكتاب الثانى "هل العلاج النفسى "مكلمة"؟
(ربع لوحات) ص 89

- [5] لكن واقع الحال أن العلاج قد يستمر لفترة تطول أو
تقصر بعد ذلك، ويتوقف السماح بذلك على موقف المعالج
وأهله (خاصة على مستوى العلاج الخاص) وأيضا يتوقف على
موقف المريض وقدراته (خاصة فى نفس النوع: العلاج الخاص)،

وهذا موقف يحتاج لشرح يطول بما يتناسب مع الالتزام بالمتن هنا/الآن دون التطرادات مفصلة.

رابط كامل النص مع المقتطفات من موقع الشبكة

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD290723.pdf>

رابط كامل النص من موقع الأستاذ الرخاوي

<https://rakhawy.net/%d9%81%d9%82%d9%87-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d9%84%d8%a7%d9%82%d8%a7%d8%aa-%d8%a7%d9%84%d8%a8%d8%b4%d8%b1%d9%8a%d8%a93-%d8%b9%d8%a8%d8%b1-%d8%af%d9%8a%d9%88%d8%a7%d9%86-%d8%a3-6/>

روابط ذات صلة

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيقا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

*** ** *

الكتاب السنوي 2022 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثاني عشر)

الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 20 على الويب

22 عاما من الصبح... 20 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

كتاب " حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

التحميل من الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2021.pdf>

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2022 (الفصل السابع: من الكتاب السنوي للشبكة)

التحميل من الموقع العلمي

<http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf>

اشتراكات العضوية بمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2022

اشتراكات العضوية

عضوية " الشريك الفخري الماسي " / " الشريك الفخري الماسي "

عضوية " الشريك الشرفي الذهبي "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3